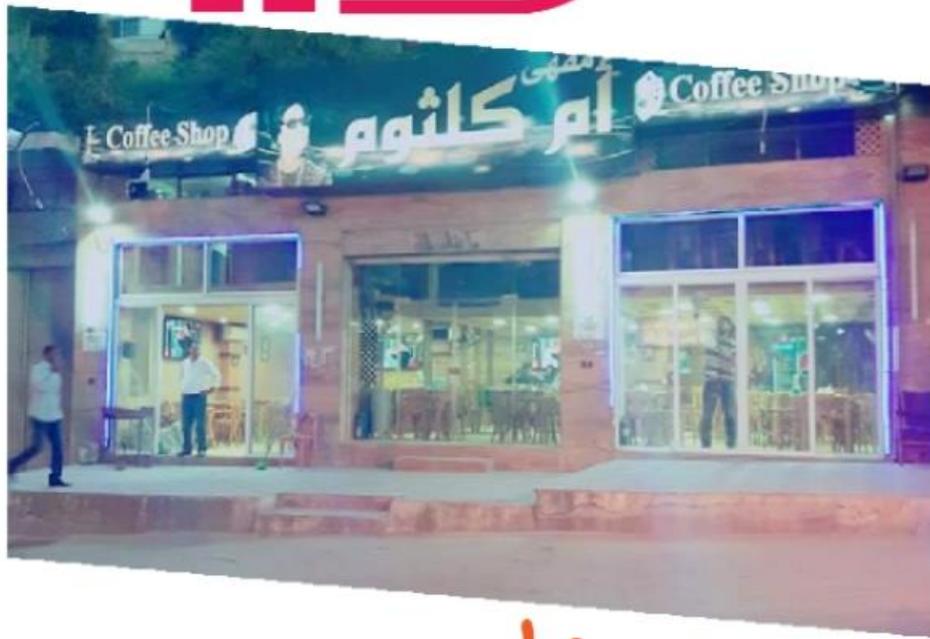




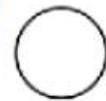
”  
النَّادِلَةُ سَعَادُ  
“

قصة

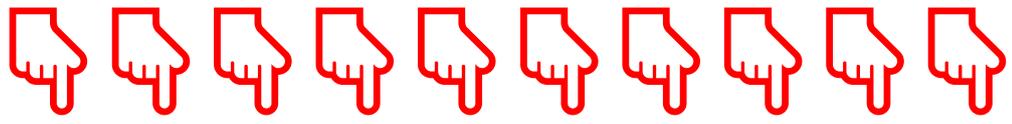


الكاتب

جمال بن عبد الله الحكيان



الترقيم الدولي :



ISBN : 978-9920-39-684-4

تحقيق ومراجعة :

الشرطي الخل والصديق 

## مقدمة

منذ سنين طويلة ، وأنا أقبع في ظل تبكيت الضمير ، وقد  
أحاطت بي رقصات الموت ، وعلى وجهي أمارات نعر  
وحزن يستدر الرثاء .

زفرت وقلت : الجوع لا يفقه شيئا اسمه المذاق ، الجوع  
سيف حاد ، لا ضمير له ولا أخلاق .

لوهلة تذكرت ما كانت تقوله والدتي : يا بني ... إن الوحدة أقطع من  
الفقر ...

زفرت من جديد زفرة حقد عميقة مغمما وأنا أرتعد :  
الفقر إذلال للروح ، علتنا الفقر ، الفقر هو التعاسة ...

لقد كنت أعتقد طوال حياتي أنني سأعيش هكذا تحت رحمة  
السامة والتناقض ، لقد كان الأمر لا مناص منه ، كنت  
مسرورا في وقت من الأوقات ، ولكني لا زلت أتذكر كم  
بكيت وأنا أستقل الحافلة رقم 21 ، كنت حاد الشعور ،  
رقيق القلب ، توشك روعي أن تنفجر وأنا أكتب هذا ، لقد

كانت أشياء أتذكرها كلما أحسست بالسعادة ، فأخيب  
وقتئذ، وأفسد عليّ مهجتي تلك .

إنه لمن الشائق أن نشارك ما نحسن به مع من يحسون  
بنا، وأنا الآن قابع في ركني أفكر في لون حزين منفر  
أصبغ به شعري ، كي أصبح وسيم الطلعة بمفهوم موضتنا  
اليوم .

لقد سرت في جسمي الآن رعدة عصبية ، فلبث أنتظر  
لهنيهة متى ستكف عن إزعاجي وتشويشي ، لقد شعرت  
براحة واطمئنان وأنا أشارككم هلوساتي ، ماشيا على  
أقدامي الحافية غير مبالٍ للعواقب .

## النادلة سعاد

إزدحمت في ذهني أفكار كثيرة ونحن جلوس بمقهى " أم  
كلثوم " ، بعد يوم من الأشغال الشاقة المضنية ، فالجو  
مساءً مختلف تماماً عن الصباح ، مقهى تأثر صاحبه  
بأيقونة الطرب آنذاك ، فلا ترى في المقهى سوى مقاعد  
خشبية قديمة ، وكراسي من الطراز العتيق ، وأوان خزفية  
يرجع تاريخ صنعها لسبعينيات القرن الماضي ، ووجوه  
شاحبة وسحب من الدخان ، وجرائد تقلب صفحاتها في كل  
مكان ، لا مكان للهواتف الذكية عند جيل يطرب نفسه  
بالحنين للماضي ، وأغنية أم كلثوم ترج المكان ، وقد  
حملت في طياتها رائعة لنزار قباني :

أصبح عندي الآن بندقية

إلى فلسطين خذوني معكم

إلى ربى حزينة ....

بصوت واضح متميز ، ناديت على النادلة سعاد ...

\_أي خدمة سيدي كمال ...!!

\_قهوة سوداء كما العادة ، مع قطعة سكر صغيرة ، وكأس  
ماء بارد من فضلك .

\_على الفور سيدي كمال .

ساورني شيء من الدهش والإرتباك لهنيهة ، وأنا أحس  
بشيء غريب في المقهى ، إلتفت خلسة أراقب وجوه  
الزبائن بنظرة سريعة ، وإذا بي ألمح غياب ستائر القماش  
التي كانت تغطي النوافذ من الجهة الشرقية للمقهى ،  
ظننت لوهلة أن الأمر مجرد روتين نظافة ...!!

وضعت على الطاولة سجائري مع مفاتيح السيارة ، وببيدي  
ولاعتي العتيقة المصنوعة من الفضة ، أداعبها بين  
أناملي .

أتت سعاد تحمل أخبارا جديدة ، فقد لاحظت أن بها ظمأ لا  
يطاق ، وسرا لا تقدر على كتمانها ...هي العيون تحكي  
الخبايا ...

وضعت الطلبية ، وانحنت تقول بصوت مشير : ألن تخضع  
لي ولو مرة يا ذا اللحية الشائبة !!!...

أحسست بالإشمزاز الذي لا نهاية له ، بعد أن بدأت أحس  
بشيء من التخفف والراحة .

\_بمعنى ماذا ، أستاذة سعاد !!!...

\_أرملة صديقك مصطفى تريدك !!!...

غمزتني سعاد وانصرفت ...؟؟

ليس غريبا علي أن أرى زرافات من العروض تنهال علي  
وأنا من أنا ، ولكني شريف ابن شريف .

توفي صديقي مصطفى منذ أعوام ، وقد أخذت علي عاتقي  
رعاية أبنائه والإنفاق عليهم ، أرملة وابنين ...

وهو على فراش الموت يوصيني ، وأنا على العهد باق  
إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا .

هي القلوب الكسيرة ، والأفئدة الحزينة ، تترقرق مدامعها  
على فلذات أكبادها ، وآلام النزع وشدائده تشد بكل قوة ،  
ومن ذا الذي يعترض سهم المنية القاتل .

إلا أن شيئا كان يجذبها لمعرفة سبب إعراضي عنها ، لقد  
أرهقتني الأمانة ، وهدتني كلمة الوعد لصديقي مصطفى ،  
ولن تغنيني الشهوة عن نبل المقصد ، أمسح على رأس  
اليتيمين ، وأسلم على الأخرى من نافذة السيارة ، حين  
تتجمد مشاعري ، حبا في مصطفى وإيمانا بالصدقة .

كنت أظهر قلقا شديدا في كل أخذ ورد في الكلام معها ،  
فمظهري البسيط المتواضع ، يتكلم بكل وضوح وطلاقة ،  
أن لا مكان للغدر فيه ، فنبل العواطف الفطرية ينبذ طعم  
الخيانة ، وأنا أتشاءب في كسل كوني غير مكترث لها أبدا .

أجلس في المقهى منزويا بعض الإنزواء ، وأنا أتحسس  
في جنباته الحياة الغابرة والشوق .

يبطؤ تدفق كلامي وأنا أستنشق دخان الحشيش المنبعث  
من الداخل ، وأنا أعلم سلفاً على وجه اليقين أنني  
سأتعرض لذلك ، ولكني أريده ...أحتاجه .

وجوه تعبر عن غاية الحزن والكرب ، فبأبلغ دلالة وأصدق  
تعبير ، أشارك صديقي التهامي كل شيء ، وهو بدوره  
يفرغ علي همومه بكل اطمئنان وثقة ، فهو الرجل الذي  
تفيض نفسه سماحة ، نجتمع معا كل مساء نتبادل أدوار  
الحديث ، فكل خبيء مآله الظهور ذات يوم .

لقد راودته الرغبة في تغيير ديكور المقهى ، لما رآه من  
تهافت على المقاهي العصرية ، ولكن فكرته التي تشبث  
بها منذ أربعين سنة بدأت بالإضمحلال ، مع تولي ابنه  
هيثم تسيير شؤون المقهى .

حاولت إقناعه بأن المكان تحفة تاريخية ، ولكن صديقي  
شديد الكبرياء ، صعب المراس .

نهض الحاج التهامي وقد أعماه الغضب من رفض الزبائن  
لفكرته ، وإصرار ابنه على ذلك ، جلست أقرأ الجريدة

اليومية ، أتفحص عناوينها الهوليوودية ، وفجأة لمحت  
النادلة سعاد وقد بلغت من البؤس والهول ما لا أقدر على  
وصفه ، ناديتها بحنو وقمة فضول :

\_ أين اختفى نشاطك يا أستاذة ... !!

أجابت وقد بدأت تنتحب باكياً ، عاقفة على يديها من  
الحسرة والحزن :

\_ لقد انتهت سيدي كمال ... انتهت !!!

أجبتها وأنا أضحك :

\_ كيف انتهت ... لم أفهم !!!

أجابت وقد قطبت حاجبيها :

\_ ابن الحاج يريد بنات العشرين ، وأنا لست سوى هزيلة

قد دقيت باب الأربعين .

توجهت لها بسؤال بسيط بصفة شخصية :

\_وما الذي سيحدث إن فصلت من العمل ، هل هي نهاية

العالم ...!!!

قالت وهي تتحب :

\_وهل تستطيع فتاة فقيرة ان تعيش شريفة ...!!!

قلت :

\_نعم ، هناك يصنع الشرفاء ، وهناك تصنع الأجيال .

تناولت وشاحها وبرنسها وخرجت متجهة بوجهها نحو

الحائط .

ثم ها هو ذا يثور قائلاً:

\_ألا زلت في المقهى ...انصرفي ...؟؟

ابن الحاج السليط ، كرهته ولكني سأساعد سعاد بطريقة

مبتكرة ، جمعت بين الإنتقام وتحقيق العدالة .

سعاد التي تسكن في حجرة واحدة بإحدى الدور بكاريان  
سيد الخضير ، شمع في كل ركن من أركان الحجرة ،  
يذوب وقد ذابت هي دموعا .

لقد اضطربت أشد الإضطراب ، وقد ضج المقهى بالصخب،  
وكلهم طمع في النادلة الجديدة ، خرجت مسرعا نحو  
سيارتي المرسدس 250 متجها نحو بيت سعاد ، ومخافة  
أن أرى من سكان الحي فأصير زنديقا يتصيد الفرائس ،  
انتظرتها لساعتين تقريبا ، بقرب بقال الحي ، راقدا على  
الأرض كالبهيمة .

لم تكن تملك أي شيء ، قدمت لها شيكا متواضعا ، وطلبت  
منها بطاقتها الوطنية ، واتصلت بابني في مفتشية الشغل .

لقد عملت لعشرين سنة في مقهى قد امتصت فيه عيون  
الزبائن تلك اللؤلؤة المدمنة ، إلى أن انقادت لميها  
الطائش ، بعد أن كانت احسن رونقا وألطف جمالا .

خاطبتني قائلة :

شكرا على كل شيء ... أشكرك من أعماق قلبي .

كانت تفكر بالطريقة التي ستدير بها الأمور ، وقد هيات لها نوعا من السكينة والطمأنينة ، وجنبتها مطبات السقوط في وهدة العار .

لم أتذكر كم كان المبلغ الذي اعطيته لها ، على أن تعني بنفسها ، لأن ظمأها على ما يظهر لي ، ليس إلى فرح ، بل إلى حزن ودموع ...

سوف نبكي ...

وسوف نكتشف كل شيء ...

حين يفوت الأوان ...

سنبكي في آن واحد ...

وسوف ندرك كل شيء .

انهارت قواها فجأة ، وتهافت فوق قنينات الغاز ، امرأة نحيلة ، طويلة القامة حسنة الهيئة ، بردائها العتيق من صوف خفيف ، سقطت وقد ساد الصمت خلال دقيقة ،

وتلتها دقيقة ، فصارت دقائق ، وتلك الأنفاس الضعيفة قد  
انقطعت .

وأخيرا ...

رحلت وودعت ...

وأشعرت بنهاية بؤس قد انتهى للتو ...

أرى وجهها الهزيل المرتعاع ، يذبل ويميل للإصفرار ،  
وعدد من المستطلعين يمدون رؤوسهم الوقحة الضحكة  
لرؤية ماذا جرى ...؟؟

رجعت القهقري ، وانصرفت لحالي ، يائسا ، كارها ،  
غاضبا ، على هذه الحياة ، وهذا البؤس ، أصبحت  
متسخطا ، لم يهنأ لي بال...

تركتهم منشغلين بابنة حيهم ، فلا أريد أن يراني أحد ...

فبعد استراحة في البيت ، وبعد نوم مضطرب لم يجلب لي  
أية راحة ، نهضت إلى شرفة الشقة ، أنظر إلى المقهى  
نظرة كره ومقت ، وقد غطيت جدرانه الداخلية بلوحات

وديكورات عصرية باهضة الثمن ، وقد قُبر صوت أم  
كلثوم وقبله صوت سعاد .

انتهى بفضل الله وكرمه يوم : الاثنين 16 شوال

1441 هـ الموافق لـ 8 يونيو 2020 م.